أثر السيدة زينب (عليها السلام) في الفكر الاجتماعي للمرأة العراقية

(الزيارة الاربعينية انموذجاً)

م. د. نـدى جواد محمد علي
كلية التربية للبنات–جامعة بغداد
Nada.jawad@coeduw.uobaghdad.edu.iq

م. م. حسين علي فهد الوائلي
كلية الاداب – جامعة القادسية
www.husseinalwaily5@.gmail

الملخص

اليوم ونحن نستذكر واقعة الطف ودور السيدة زينب عليها السلام شريكة الإمام الحسين في ثورته بنا حاجة إلى قراءة جديدة للزيارة الأربعينية وكل ما يرتبط بها من قيم، حاجة الى قراءة عميقة وتوظيف ماساة تلك الزيارة من اجل تغيير الواقع نحو الأفضل ومستقبل يتسم بالأمن والاستقرار، وذلك ليس تنظيرا فقط بل من خلال برامج عملية تطبيقية على أرض الواقع، لذلك آثرنا الحديث عنها ونحن نحاول ان نتعلم منها لتغيير أنفسنا أولاً وواقعنا ثانيا وواقع المرأة المسلمة عامة والعراقية خاصة والتي تمر بظروف استثنائية في ظل الحروب والعوز والفقر والجهل والحرمان ثالثا.

توصل البحث الى أن نسبة الذكور والإناث في العراق متساوية تقريباً. إلا أن واقع المرأة يتباين مع واقع الرجل في العراق، إذ اظهر البحث أن هناك تقارباً بين الجنسين من حيث مدى الحصول على الفرص التعليمية بزيادة طفيفة لصالح الذكور في المراحل التعليمية الاولى، وان الفجوة تبدو كبيرة لصالح الذكور، وبحجم أصغر في مستوى شهادات البكالوريوس والشهادات العليا، وان واقع المرأة العراقية في مستوى النشاط الاقتصادي يعد متدنيا اذ بلغ معدل النشاط الاقتصادي للإناث (٦ , ١٤٪) مقابل(١ , ٧٢ ٪) للذكور، ولعل أسباب ذلك شائكة ومعقدة، تتداخل فيها مواريث ثقافية وعوامل اجتماعية وسياسية وإهمال أو عدم التفات من الدولة لأهمية تمكين المرأة العراقية واستغلال امكانياتها الاقتصادية بوصفها مورداً بشرياً ووسيلة وهدفاً تنموياً في الوقت نفسه، ونقترح على الدولة تبني سياسات تصب في مصلحة تمكين المرأة العراقية اقتصاديا واجتماعيا منها اتخاذ جميع التدابير المناسبة لتوفير فرص العمل للنساء الائي يعانين من البطالة، مع توفير البيئة المساعدة والتوسع في سياسة إلزامية التعليم حتى نهاية المرحلة الإعدادية.

الكلمات المفتاحية: واقعة الطف، السيدة زينب عليها السلام، الأمام الحسين عليه السلام، الزيارة الاربعينية.

The impact of Lady Zainab (peace be upon her) on the social thought of Iraqi women (The fortieth visit as a model)

Assist. Instructor Hussein Ali Fahd Al-Waeli

College of Arts - University of Al-Qadisiyah

Dr. Assis. Nada Jawad Muhammad Ali

University of Baghdad/College of Education for Girls

Abstract

Today, as we recall the incident of Al-Tuff and the role of Lady Zainab (peace be upon her), the partner of Imam Hussein in his revolution, we need a new reading of the forty-year visit and all the values associated with it. We need a deep reading and employ the tragedy of that visit in order to change reality for the better and a future characterized by security and stability. This is not only theorizing, but through practical and applied programs on the ground, so we preferred to talk about it and we are trying to learn from it in order to change ourselves first, our reality second, and the reality of Muslim women in general and Iraqi women in particular, who are going through exceptional circumstances in light of wars, economic siege, poverty, poverty, ignorance and deprivation thirdly.

The research found that the ratio of males and females in Iraq is almost equal. However, the reality of women contrasts with the reality of men in Iraq, as the research showed that there is convergence between the sexes in terms of the extent of access to educational opportunities with a slight advantage in favor of males in the early educational stages. And that the gap appears to be large in favor of males, and a yellow size in the level of bachelor's degrees and higher degrees. And the reality of Iraqi women in the level of economic activity is low, as the rate of economic activity for females reached (14.6%) compared to (72.1%) for males. Perhaps the reasons for this are thorny and complex, in which cultural inheritances, social and political factors overlap, and neglect or lack of attention by the state to the importance of empowering women. Iraq and exploiting its economic potential as a human resource and as a means and a development goal at the same time. We suggest that the state should adopt policies in the interest of empowering Iraqi women economically and socially, including taking all appropriate measures to provide job opportunities for women who suffer from unemployment, while providing an enabling environment and expanding the policy of compulsory education until the end of the preparatory stage.

key words: The Tuff Incident, Sayyida Zainab (peace be upon him), Imam Hussein (peace be upon him), the Arbaeen visitation.

المقدمة

مرت علينا ذكرى ايام واقعة الطف الأليمة، ووصول موكب سبايا آل البيت عليهم السلام الى كربلاء بعد رحلتهم الطويلة من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام والعودة الى كربلاء يوم الأربعين في العشرين من صفر ومن ثم توجههم الى مدينة الرسول الأكرم بموكب يلفه الألم والحزن وبعدد ناقص من علية القوم. اليوم ونحن نستذكر تلك الواقعة بنا حاجة إلى قراءة جديدة للزيارة الأربعينية وكل ما يرتبط بها من قيم، حاجة الى قراءة عميقة وتوظيف تراجيديا تلك الزيارة من أجل محاربة الأفكار السلبية وتغيير الواقع نحو الأفضل لنتطلع الى مستقبل يتسم بالأمن والاستقرار، وذلك ليس تنظير إنما من خلال برامج عملية تطبيقية على أرض الواقع[1].

والمتطلع الى الثورة الحسينية يوقن بقناعة تامة أن السيدة زينب عليها السلام شريكة الإمام الحسين بثورته في جميع ملاحمها وفصولها شراكة إيجابية وفاعلة، فهي أنموذج للشخصية القيادية المجاهدة والعاملة والتي افتدت حياتها من اجل الحفاظ على الدين والتي لازال وسيظل نجمها يسطع في سماء الكرامة والعز، وهو رمز للجهاد النسوي على مر الدهور، وجاهدت جهاداً لم يعرف التأريخ مثله في مرارته وأهواله، وتبنت مخططات الثورة وأهدافها، لذلك آثرنا الحديث عنها ونحن نحاول أن نتعلم منها لتغيير أنفسنا أولاً وواقعنا ثانيا واقع المرأة المسلمة عامة والعراقية خاصة والتي تمر بظروف استثنائية في ظل الحروب والعوز والفقر والجهل والحرمان.

اولا: مشكلة البحث

تطرح مشكلة البحث على شكل أسئلة:

١. كيف كانت حياة السيدة زينب عليها السلام في ظل أسرتها؟ وكيف كانت قيادتها عندما اصبحت وحيدة في ظل مهام ربانية قيادية؟
٢. كيف يكون استثمارنا للأربعينية، لهذا الحدث السنوي وهذه النعمة المباركة النازلة من السماء والذي يمتد من الأيام الأولى لشهر محرم الحرام حتى العشرين من شهر صفر الخير، إذ يحتفي الملايين من المسلمين بذكرى مقتله وبأربعينيته بالسير مشياً على الأقدام؟
٣. ما موقف المرأة اليوم من الزيارة الاربعينية؟ وكيف نوصل رسالة السيدة زينب بشخصيتها الفذة الى كل امرأة مسلمة محبة وموالية لأهل البيت عليهم السلام ؟
٤. كيف يمكننا تنمية دور المرأة وتمكينها اذ نجعل منها امرأة منتجة مع حفاظها على حشمتها ودينها وموقعها ضمن الأسرة؟

ثانيا: فرضية البحث

ان الزيارة الاربعينية حدث سنوي عالمي ينبغي أن يستثمر في تنوير العقول وان يكون انطلاقة للمرأة عامة والعراقية خاصة في الحفاظ على اسرتها وعفتها وفي الوقت نفسه يكون لها دور مميز في العملية الاقتصادية والمشاركة المجتمعية لها مما ينتج عنه واردات مالية قد تكون أساساً ولاسيما اذا ما كانت هي المعيل الوحيد للأسرة او معينة للبيت. وبذلك تتحول من المرأة المعالة المعوزة الى امرأة منتجة مع

حفاظها على حشمتها ودينها وموقعها ضمن الأسرة.

ثالثا: هدف البحث

يهدف البحث الى استثمار زيارة الاربعينية بوصفها حدثاً سنوياً عالمياً في تنوير العقول وان يكون انطلاقة للمرأة عموماً والعراقية خاصة في الحفاظ على أسرتها وعفتها وان يكون لها دور مميز في العملية الاقتصادية والمشاركة المجتمعية وبذلك تتحول من المرأة المعالة المعوزة الى امرأة منتجة مع حفاظها على حشمتها ودينها وموقعها ضمن الأسرة.

رابعا: منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي والوصفي لدراسة شخصية السيدة زينب القدوة والقائدة فضلا عن دراسة أهمية العمل في حياة المرأة ودوره في اقتصاد الشعوب ونظرة الاسلام للعمل والعاملين. الاسلام وما ذكر في القران الكريم والسنة النبوية عن أهمية العمل ودوره في اقتصاد الشعوب، كما تم الاعتماد على منهج تحليل المضمون لدراسة واقع التنمية الاجتماعية للمرأة العراقية ودورها في العملية الاقتصادية والنظام الاجتماعي وامكانية تنمية ذلك الدور في المجتمع.

خامسا: هيكلية البحث

لكي يأخذ البحث مجراه آثرنا أن يكون على أربعة محاور، شمل الأول دراسة لمحات من شخصية السيدة زينب القدوة والقائدة وحياتها، وهو يتحدث عن السيدة زينب في بيت الأسرة، وجاء المحور الثاني معنونا بـ(العمل جهاد المرأة في الإسلام) ويتكلم على اهمية العمل في حياة المرأة وما ذكر في القران الكريم والسنة النبوية لأهمية العمل ودوره في اقتصاد الشعوب، ودرس المحور الثالث المرأة اليوم وموقفها من الزيارة الأربعينية. اما المحور الرابع والأخير فيدرس تمكين المرأة وواقع التنمية الاجتماعية للمرأة العراقية ويتحدث عن المرأة وأهمية دورها في العملية الاقتصادية والنظام الاجتماعي وامكانية تنمية دورها في المجتمع، فضلا عن أهم النتائج.

المحور الأول: لمحات من حياة السيدة زينب القدوة والقائدة

سنعرض من خلال السطور حياتها الفذة وشخصيتها الفريدة ودورها الجهادي القيادي في الثورة الحسينية في نشر النهضة الاصلاحية والوعي الديني والاجتماعي لتبلغ القمة في الكمال الانساني ولتحيي تعاليم الاسلام الانسانية وتكون مصباحاً لنساء العالم رغم تباعد الدهور ولتكون علماً مرفوعاً وفخراً لنتعلم من مدرستها أنموذج لجهاد المرأة المسلمة في عصرنا الراهن وهذا الشي القليل واليسير.

وعندما انزل الله سبحانه وتعالى قرآنه الكريم على رسول الله ﷺ أعطى أمثلة كثيرة للقدوة سواء للرجل او للمرأة على حد سواء ولم يفرق في القدوة والحكمة والقيادة بين الرجل والمرأة فقوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾[٢] هذا النص القرآني الكلام موجه للرجل والمرأة على حد سواء

ألا ان المثل كان للمرأة في موقع القدوة التي وجب أن يحتذى بها وأن نسير على خطاها فهو إقرار رباني بأهلية المرأة وبأنها من الممكن ان تأخذ مكانها في القدوة بل يصل الى حد الاصطفاء وفي الآية الكريمة الأخرى من قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾[٣]...، وما أعظمها من منزلة فالحمد لله أن جعلنا من المسلمين.

ولدت السيدة زينب الطاهرة الكريمة في حضن النبوة، وبيت الرسالة. نشأت ورضعت لبن الوحي من أمها الزهراء البتول عليها السلام، وتغذت بغذاء الكرامة من كف ابن عم الرسول، أبيها علي بن ابي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام، تأخذ التربية الصالحة والتأديب القويم من والديها وأخويها الكريمين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام إلى أن بلغت من العلم والفضل والكمال مبلغاً عظيماً[٤]، كيف لا تكون كذلك وهي حفيدة النبي الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام إذ قال: ((كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا أولاد فاطمة، فأني أنا أبوهم وعصبتهم))[٥]، وكأي طفل على وجه الارض يكون وجه الام هو اول ما يراه ويفتح عينيه في الحياة فكيف تكون هذه المولودة اذا كانت الأم فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام، أطهر مخلوقة على وجهة الارض، عاشت وتربت في احضانها لازمت أمها ليلاً نهاراً، تعلمت من امها أنواع العبادة: الزهد، والمواساة، والايثار، والانفاق لوجه الله تعالى، وإطعام الطعام مسكيناً ويتيماً وأسيراً، فهمت معنى الاحترام والتفاهم بين الأم والأب عندما شاهدت أباها وامها،وصبرها على صعوبة الحياة، تعلمت كيف تواجهه ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى، وهي بضعة النبوة المحمدية، وربيبة الإمامة، العلوية، فخر المخدرات، منبع الحشمة والعفة والثبات والصبر والصمود والمساندة فهي بنت الامام علي بن ابي طالب واخت الحسنين (صلوات الله وسلامه عليها) وابي الفضل العباس عليه السلام، فضلى النساء وصاحبة العصمة الصغرى.

اتصفت عليها السلام بصفة العلماء وكان لها دور اجتماعي بارز ساعد في تحصين المجتمع الاسري عموماً والنسائي خاصة، ويحدثنا التاريخ عندما كانت في بيت ابيها في الكوفة من مجلس لتفسير القرآن الكريم وكان نساء الكوفة يرجعن اليها في المعاملات وفي احكام الحلال والحرام واستمرت في زمن ابن اخيها، إذ كانت نيابة عن الامام علي بن الحسين الامام السجاد عليه السلام، وهذه الصفة أورثتها من امها وجدتها السيدة خديجة الكبرى عليها السلام والتي عرفت بعبادتها في الوقت الذي كانت جزيرة العرب تسود فيها عبادة الاصنام وانتشار الوثنية وغارقين بالجهل، كانت السيدة خديجة موحدة في العبادة الله وحده لا شريك له وكانت تحضر مجلس ابن عمها ورقة بن نوفل الذي يعد احد العباد الأربعة في زمانه لتتعلم منه معالم الدين والدينا، فضلا عن ذلك كانت تعقد اجتماعات وحلقات دينية في بيتها وتأتي بكبار الشخصيات المرموقة والمعروفة بالعلم الإلهي من الكتابيين سواء كانوا من الرجال أو النساء وتسمع احاديثهم وتعاليمهم ونصائحهم السماوية التي كانوا يطرحونها ويتحدثون بها، وكانت تحترم الكتب السماوية إذ كانت ملتزمة في الذهاب إلى بيت الله الحرام، والطواف حول الكعبة المشرفة[٦].

تلك الصفات جعلها استثنائية في كل شيء في العلم والصبر والخلق والطاعة لله سبحانه وتعالى.

اما في واقعة الطف فلو تأملنا محنة السيدة زينب في واقعة الطف وما حملته معها من أسرار النبوة وودائع الإمامة، وما جرى بعدها إذ كانت عبرة لكل انسان عاقل لصبرها وتحملها العبء الثقيل،وكان لها الدور الكبير والعظيم في حفظ سلالة النبوة من خلال حماية حجة ذلك العصر الامام علي بن الحسين (السجاد)عليه السلام، إذ كانت نعم المواسية عندما رأت اهلها المضجرين بالدماء والمجزرين الرؤوس قائلة له (مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وابي وأخوتي، فو الله ان هذا لعهد من الله الى جدك وابيك....الى آخر الحديث[٧]، وهذا الدور الاستثنائي والرئيس جعل منها الشخصية الثانية على مسرح الثورة بعد شخصية أخيها الحسين وأظهر ذلك بمساندة اخوانها وصمودها بوجه المعسكر المعادي فكانت كالمظلة التي تقي من الحر والذبول فكذلك السيدة زينب العابدة الزاهدة والكاملة المحدثة الشجاعة عليها السلام مثال النهضة الاصلاحية واحياء الشريعة من الضياع وطمس الشريعة الربانية متمثلاً فيها عندما أحاطت بأهل بيتها محافظة ومرافقة كالقبة.

وخير مثال يروى لبيان علمها وفهمها، أن السيدة زينب عليها السلام خطبت في الكوفة خطبتها الغراء، فتركت أهل الكوفة يموج بعضهم في بعض، قد ردّوا أيديهم في أفواههم، حيارى يبكون وقد تمثل لهم هول الجناية التي اقترفوها. قال الإمام السجادعليه السلام لعمته ((أنت بحمد الله عالِمَةٌ غير معلمة، فهمة غير مفهمة))[٨] وكلام الإمام انما يدل على المنزلة العلمية الرفيعة التي ارتقت إليها السيدة زينب، فهي عالمة بالعلم من رب العالمين وليس بالعلم المتعارف الذي يكتسب بالدرس والبحث[٩].

تلك السمات ورثتها السيدة زينب من أمها وجدتها كغزارة علمها وكثرة فهمها ووفرة عقلها، ومعرفتها بتفاصيل الدين الاسلامي وأحكامه لم يصل الى مرتبتها أحد فهو إلهام رباني من الله تعالى لأهل البيتعليهم السلام، كانت السيدة العقيلة قد شابهت وورثت من والدتها الشجاعة والصبر وتجلدت بالمواقف الحازمة ومما يدل على ذلك لقبها ((نائبة الزهراء))[١٠]، فكما شاركت الزهراء صلوت الله عليها في تثبيت أسس الاسلام فقد كانت ضمن الخمس من اهل الكساء والذين لهم الفضل في تثبيت أسس الدين الاسلامي الذي اختاره الله ديناً للبشرية جمعاء والذي أنزل على رسوله محمد عليه افضل الصلاة والسلام فسيدة نساء العاملين كانت مع والدها مشاركة في مهمته، ومشاطرته في مصائبه، واستمرت بعد ان وافاه الأجل. كان دورها عظيماً وبارزا في شد عضد زوجها الامام عليعليه السلام أمير المؤمنين وولي رب العالمين ووصيه في الدفاع ضد الطغاة الظالمين فسارت معه وكانت لها كلمتها وموقفها ضد الحكام وأدركت السيدة زينب مصيبة امها وسمعت خطبتها في المسجد النبوي الشريف[١١].

وهذا ما فعلته السيدة زينبعليها السلام إذ لازمت امها ليلا ونهارا ورأت الجوانب الكثيرة من الآيات العظمة، وشهدت أنواع العبادة والزهد والإيثار والمواساة والإنفاق في سبيل الله وإطعام الطعام لحب الله مسكيناً ويتيماً واسيراً[٢١].

وعاصرت معها مريضة، طريحة الفراش، انقضت عليها ساعات أليمة وهي تشاهد أمها بعد وفاة جدها رسول الله وما تعرضت له من أذى وحزن شديد وهموم عظيمة كحادثة السقيفة والاستيلاء على الخلافة واراضي فـدك[١٣](*)، وهـذا الحمل الكبير يحتاج الى صبر عظيم لا يناله الا مرتبة نبي أو وصي فتحملت المصائب وجرعت النوائب صابرة محتسبة... فكان يحتاج الى بقائه واستمراره بقدسيته وتطهيرها من محاولات تدنيسه بالشبهات وان كانت التضحية الجود بالنفس والاهل وتلك هي التضحية العظمى والبذل السخي، حتى استشهدت من اجل الدين الاسلامي وإمامة وتنفيذاً لوصية رسول العالمين والتي هي وصية الله، كما فعلت والدتها السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها[١٤].

ومـن الصفات التي اورثتها من جدتها سيدة قريش السيدة خديجة الكبرى التي كانت نعم المدافع والداعم القوي عن دين رسـول اللهﷺ، فكانت عندما يعود النبيﷺ الى داره بعد معاناة وايـذاء ومطاردة مشركي قريش وذيولهم من الجهلاء، كانت السيدة خديجة الكبرى تستقبله بأحسن الاستقبال، لتزيل عنه آثار الاعتداء الذي تعرض له ولتكون قرة عين له في داره، ولتضمد جراحه وتسليه ولتنسيه الهموم وتؤنسه حتى كان الرسول الاعظم ينسى كل الاذى والتعب[١٥].

وإذا كانت السيدة العقلية قد شابهت وورثت من جدتها ووالدتها صفاتها وشخصيتها وأنها تشابهت بالانفراد للتأهل ولتكون كفواً بالقيادة النسوية بالوقوف جبناً الى جنب مع والدها عندما كان دورها ان تبين للنساء الاحكام القرآنية وتفسير الآيات واحاديث جدها رسول الله، وظهر دورها البطولي مع اخيها عندما اختاره الله ليجود بنفسه والتضحية بالروح والاهل وكل عزيز وهي أعلى مراتب الجود، وظهرت نائبة الزهراء الكفيّة للنيابة في اهم مهمة سماوية وهي لبقاء الدين عن طريق التضحية بالروح والـدم لأهل بيت النبوة واستمرت نائبة الزهراء بالتجلد والقوة والجرأة وثبات الجأش في مواقف جمة، بعد استشهاد اخيها الامام الحسينعليه السلام وكانت مهمتها الاصعب في الحفاظ على اهل البيت،ان انتظام الامور بعد استشهاد اخيها كان برأيها وتدبيرها[١٦]، وأدركـت أخيهـا الإمـام الحسـنعليه السلام ومصائبه، وتسـميمه، وقذف كبده من فمه، وتشييعه، ورمي جنازته بالسهام. وبالحفاظ عليهم يكون الحفاظ على استمرار الرسالة السماوية فكان القربان بالأسر والسبي مع من تبقى من آل بيت محمدﷺ لتواصل مسيرتها من أجل لما هو أعظم وذاك هو الحفاظ على الدين كما انزله الله على نبيه نبي البشرية نبي الرحمة، وفي سبيل حفظ دين الله وبقية الله على الأرض، فكانت قانعة صابرة لأمر الله.

تلك الصفات الوراثية لم تأت اعتباطا ولو رجعنا الى الجيل الذي سبق السيدة زينب وبحثنا عن حياة جدتها السيدة خديجة الكبرىعليها السلام كانت سيدة قريش الاولى، فتروي لنا المصادر انها ذات بصيرة وبعيدة النظر لم تتأثر بظواهر الامور تمتلك السجايا الانسانية والفضائل والصفات الرفيعة تؤثر الآخرين على نفسها، ولها موقع اجتماعي مرموق، معروفة بسخائها ولم يخرج من بيتها محتاج غاضب مطرود

ومحترمة للقضايا المعنوية والانسانية وهذه بعض من أخلاق السيدة خديجة[١٧].

من هذه المواقف تأكد لنا أن المرأة لم تكن يوماً دون الرجل منزلة، بل ان التقوى والايمان مع العمل الصالح والاخذ بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تضع منزلة الانسان وتحدد موقعه سواء كانت امرأة او رجل وهو اساس التفاضل بينهم فالقدوة ليست حكراً على الرجال، بل العمل هو المقياس.

المحور الثاني: العمل جهاد المرأة المسلمة

ان الفكر الديني الاسلامي يؤكد أهمية تكريم المرأة فلا يوجد فكر ديني كرم المرأة كما موجود في الفكر الاسلامي، إذ انتشلها من حفرة الوأد وبؤرة الظلم والجهل ليرتقي بها بما احتوته من ميزايا طبيعية تكوينية لتكون في ميزان التفاضل بين الناس بما تملكه من ايمان وتقوى وجهاد وعمل.

وإذا عُدَّ العمل ظاهرة طبيعية شملت الكون كله فكل عضو في جسم الانسان له عمله الذي خصه الله به وجاءت مشيته بأن تكون الاعضاء متساوية في الانجاز من ناحية وفي الاستهلاك من ناحية اخرى،نجد ان الحياة قائمة على اساس مبدأ التقسيم في العمل[١٨]، ولا يقتصر الامر في النظر الى دواخلنا فلو نظرنا الى تجمعات الحيوانات البرية منها نجد أنَ تقسيم العمل ظاهرة بأدق تفاصيلها، والنباتات فالجذور لها عملها والسيقان لها عمل خاص بها كذلك الاوراق والثمار.

ينظر الاسلام الى المرأة نظرة تمثل المحور الاساس في الاسرة والمجتمع الاسلامي يقوم اساساً على الاسرة، والاسرة تكون قاعدة، واساس هذه القاعدة المرأة فهي الام، التي تنشئ وتربي الرجال والسند للزوج، وهي الاخت والبنت، فلا وجود للمجتمع ولأسرة سليمة بدون المرأة.

ويمثل الاسلام حياة فمن الطبيعي ان يكون تقسيم العمل جزءاً لا يتجزأ من حياة المسلمين بين الرجل والمرأة فلكل منهما مزاج وطبع وتكوين خاص به لذلك يكون توزيع المهام تنسجم مع مزاجه وطبعه وتكوينه لذلك جاءت الادوار التي تسند اليهم حسب قابليته وكفاءته.

ذكر الله في كتابه الكريم الجهاد في عدد من مواضع نذكر منها: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾[١٩] وهنا يأتي بمعنى الجهاد بالعمل، ولم يحدد الجنس فهو شامل للرجال وللنساء.

وفي الآية الكريمة قال القرآن: ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[٢٠] والتي تدل على ان المرأة والرجل انسان بلا تمييز بينهما، والانسان من طبيعته ان يفكر ويعمل وهذا ما ميزه الله عن غيره من مخلوقاته.

وذكر كذلك في القرآن الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٢١].

توضح هذه الآية اهمية العمل ولما كانت المرأة نصف المجتمع فهل من المعقول ان يعطل الله نصف المجتمع الانساني وأن يحكم عليه بالشلل والجمود؟ حاشا لله.

ان توزيع المهام يأتي مبنياً على اساس التعاون والتكافؤ الذي وضعه الله فينا وتقسيم سماوي لا ينبغي ان ينحرف الانسان عنه فهي ليست مسألة تسخير واستخدام احدهما للآخر. ان بهذا التوزيع والتوظيف الطبيعي يمكن للبشرية ان تعيش وتنتج على سطح الارض.

نحن نذكر شخصية السيدة زينب وما اورثته من والدتها سيدة نساء الاولين والاخرين ومن جدتها السيدة خديجة الكبرى لنعرف مدى الترابط والتشابه بين الشخصيتين للوصول الى الغاية المراد طرحها، فالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فضلا عن دورها في القيادة النسوية في نشر الرسالة الاسلامية فهي المعلمة الأولى في بيتها الذي يعد المدرسة الاولى للنساء المسلمات، فاستطاعت قيادة المجتمع النسوي للنهوض به ولها من المواقف الكثيرة التي اثبتت فيها الدور المرأة القيادية في نشر الوعي فيذكر التاريخ خروجها لبيوت المهاجرين والانصار في محاولات للوقوف الى جانب الحق فتحملت بذلك المسؤولية الكاملة التي يتطلبها المجتمع مما يدل على قابلية المرأة واهليتها لأعلى درجات الكمال، وأن تكون في موقع الريادة والاقتداء، وفي مستوى التفوق والامتياز على سائر بني البشر نساءًا ورجالاً[٢٢].

كذلك السيدة خديجة الكبرى عليها السلام سيدة نساء قريش بأسرها، ذات المكانة المرموقة، وكانت من التجار الناجحين ومعروفة بتجارتها وتسعى في عملها لزيادة ثرواتها وارباحها، ولم يمنعها ذلك من مواصلة اعمالها العبادية والانسانية، كالذهاب إلى بيت الله الحرام، والطواف حول الكعبة المشرفة من جهة، وابقاء ابواب منزلها مفتوحة للسائلين من الفقراء والمعوزين من المساكين[٢٣]، وبقي هذا حالها حتى زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ سلمت اموالها وتجارتها لمعرفتها المسبقة للأمين والصادق، ومنذ بدء الحياة الزوجية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووهبت كل ثروتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، يتصرف ويصرف منها كما يرى فيه المصلحة والصلاح، وكان الغرض الاسمى هو نشر الدعوة الاسلامية والحفاظ على الدين الاسلامي والمسلمين[٢٤]، أما عمل المرأة المسلمة فقد كثرت الروايات عن عمل السيدة فاطمة في بيتها الزوجي، وتذكر الاحاديث والروايات ان فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تقوم بأعمال البيت ورعاية شؤون أسرتها إذ كانت تسقي بالقربة،وطحنت بالرحى، وعجنت العجين، وكنست الدار، وأوقدت النار وهناك رواية انها شوهدت تصنع سبحة من طين قبر سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب (رضوان الله عليه) للتسبيح بها بعد كل صلاة[٢٥].

وكان جهاد المرأة في المعسكر النسوي الحسيني المتمثل بقيادة السيدة زينب والحرائر الأخريات قد تمثل بنوعين الاول جهاد بالقول، أي: جانب اعلامي كما ورد في كتابه الحكيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٢٦]،وبوجود نساء اهل بيت الرسول لن تنتهي ثورة الحسين فكانت مدونة للتفاصيل ونشر الافكار والوعي بثورة اخيها وفضح العدو وغايته واهدافه من محاولة هدم الاسلام نشر الضلالة والوقوف بوجه الجهل،فضلاً عن اللسان البليغ بالدعاء والاستغفار كانت تنصت لأخيها

وتبعث روح الحماس بنساء المعسكر بتفانيها لصوت الحق المتمثل بأخيها[٢٧]. وكانت الصوت القوي بوجه عروش الظلم،وهي بذلك تمثل أهم ركن فيما بعد الثورة الحسينية، وكما يذكر التاريخ انها نفذت وصية اخيها والتي جاء فيها: ((يا أختاه اتقي الله وتعزي بعزاء الله...الـــخ[٢٨])) فهي الحـاضرة في معركة الطف ترى وتسمع ما يحدث وترى استشهاد وتساقط آل البيت واحدا تلو الآخر في ارض المعركة من ابناء اخيها واخوانها، ولتشهد استشهاد اخيها بسيوف العدو، ورغـم كل تلك المصائب وهول الموقف التي لا يتحملها بشر الا ان السيدة زينب بإيمانها الثابت وقلبها الصابر وعقلها النير تجرعت المرارة وعزت نفسها بحزن داخلي وكلمات ترددها مع نفسها ولملمت شتات حزنها بداخلها لتجمع ما بقي من النساء والاطفال لتبدأ مسيرتها ولتنفذ ما اوصى به اخوها.

المحور الثالث: المرأة اليوم وموقفها من الزيارة الاربعينية

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٩]، تبين هذه الآية مواصفات المؤمنين وما ينتظرهم من الرحمة من الله سبحانه وتعالى، ومن صفاتهم ان كل واحد منهم، أي: كل مؤمن ينصر صاحبه ويعينه ويؤيده لأنهم من جذر واحد تجمعهم العقيدة الواحدة وهذا ما يذكره السيد الطباطبائي إذ يقول: «يدل بذلك على أنهم مع كثرتهم وتفرقهم من حيث العدد ومن الذكورة والأنوثة ذوو كينونة واحدة متفقه لا تشعب فيها ولذلك يتولى بعضهم أمر بعض»[٣٠] إن الخطاب الشرعي التكليفي جاء لكل من الرجل والمرأة على حد سواء، فهم من أصل واحـد تجمعهم عقيدة واحـدة، والهـدف من السير بالمكلف نحو الكمال الإنساني يأتي بطريقتين الاول منه الصعب والشاق والذي قل سالكيه، والطريق الثاني السهل وهذا من رحمة رب العزة بالمؤمنين، ومنه الطريق المضمون نحو الكمال الانساني وهو طريق زيارة سيد الشهداء.

اما ما جاء في فضل قبر سيد الشهداء فروايات عديدة، منها ما رواه الكليني والشيخ ابن قولويه والشيخ الطوسي بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام: «إن لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معروفة من عرفها واستجار بها أجير....الى ان يقول: وموضع قبره من يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج تعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، وما من ملك في السماء ولا في الارض إلاّ وهم يسألون اللهّ أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يعرج»[٣١].

وتأكيد الزيارة في عدة مواضع يذكرها التأريخ وسـيرة اهـل البيت عليهم السلام وعـدت تكملة للكمال الانساني بل بعض الروايات أوجب الزيارة للرجال والنساء، وقد ورد في الأثر الشريف عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات كمن زار الله فوق عرشه»[٢٣].

وعن ابن أبي جرير القمي قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول لأبي: «من زار الحسين بن علي عليه السلام عارفاً بحقه كان من محدثي الله فوق عرشه ثم قرأ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ*فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٣٣].

وفي رواية أخرى: قلت: نعم، قال: يا أم سعيد زوريه فإن زيارة الحسين واجبة على الرجال والنساء» وهناك الكثير من الروايات التي أكدت على أهمية زيارة المرأة خاصة كما في رواية زرارة: قال عليه السلام: «يا زرارة ما في الأرض مؤمنة إلاّ وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام»[٣٤].

واهمية الزيارة تأتي من اهميتها في ان تكون مسيرة اصلاحية تبدأ بالنفس وتخرج للمجتمع، ولتكون الخدمة خدمة اصلاحية فالزيارة تحوي نساءاً واطفالاً كثر، فالزائر في المسير تكون له عزيمة عظيمة وله قابلية على الاستماع والتطبيق، فهو سائر نحو من لهج لسانه بذكر الله ويعرف ان مصيبة الحسين هي ذكرى وعبرة للبشرية جمعاء فهم يسيرون لعزاء السيدة زينب.

في الظروف الطبيعية يكون عمل المرأة الاعظم والذي ليس له منازع هو خدمة مجتمعها من داخل البيت وتربية اجيال وهذا العمل الذي هيأه الله لها في تكوينها النفسي والعاطفي وهو اسمى وارقى عمل فلا أحد يستطع ان يقوم مقامها في هذا العمل الرباني.

وفي الظروف غير طبيعية كالحروب والازمات التي انتجتها الحروب وذهاب الرجال دفاعاً عن الارض، وفقدان المرأة للمعيل كالأب والأخ والزوج والأبن،حيث تقضي عليها الظروف المعيشية الصعبة الخروج من دارها لتعمل وتكسب ما يسد حاجتها وحاجة أسرتها.

مرت المرأة العراقية المعاصرة بعدة من ازمات انتجتها الظروف واصبحت المعيلة وتفتقر الى من يوفر لها دخل معيشي فهي لا تتمتع في الحصول على مورد دخل لها ولأسرتها لأسباب عديدة كانهيار شبكة الضمان الاجتماعي والفساد الاداري والمالي الذي يمر به العراق منذ عقود فضلا عن قلة المعاشات التقاعدية ووجود النزاعات وتراجع القانون الذي شكل تهديداً للمرأة المعيلة خاصة وللأسرة عامة[٣٥].

في مرحلة الثمانينات (١٩٨٠-١٩٨٨) في الحرب كان للمرأة دور بارز إذ اخذت مكان الرجل عندما توجه الى ساحات المعارك، وكانت يعتمد عليها في كثير من المجالات، اما في التسعينيات والعقد الاول من القرن الواحد والعشرين كان الحظر الاقتصادي على العراق، فضلا عن النزاعات الطائفية الداخلية أدت إلى تراجع جميع الاعمال وزيادة نسبة البطالة وظهر ذلك واضحا في الاسرة العراقية والمرأة المعيلة لأسرتها[٣٦].

نظرا لهذه الظروف، كان يجب على المرأة أن تعتمد في كثير من الأحيان على الآخرين، وفي كثير من الأحيان على الرجل، لبقائها في الحياة الاقتصادية، ولذلك تواجه المرأة غير المتزوجة صعوبات خاصة من حيث لا يتوافر الضمان الاجتماعي للأرامل والموارد الحكومية الأخرى لفئة، معينة من النساء المعيلات او المهمشات، أو غالبا ما يكون غير كاف

بالنسبة للمرأة لتربية أسرتها وسبب الحروب العديدة، والتدهور الاقتصادي، والعنف، والعقوبات، والنزاع الداخلي، ويمكن ملاحظة أثر الأمية في المستوى العلمي المحدود في جميع جوانب حياة المرأة. يعاني مئات الآلاف من العراقيين من أعمال عنف في حياتهم فالفقر وعدم توافر فرص عمل جعل من امتلاك مشاريع صغيرة مفهوما جذابا بالنسبة للمرأة المعيلة فضلا عن تحفظات المجتمع على مشاركة المرأة في الاقتصاد. وقد خلصت دراسة أجراها البنك الدولي عام ٢٠٠٧ الى أن ٢٢٪ من الاسر العراقية تعيش تحت خط الفقر وهي اعداد قابلة للزيادة وفق المنظور الحالي للوضع الراهن41F. هذه الاحصائية تؤكد الحاجة لوجود سبل دعم المرأة المعيلة الذي بدوره يكون سبيلاً لدعم الاقتصاد المحلي[٣٧].

المحور الرابع: تمكين المرأة وواقع التنمية الاجتماعية للمرأة العراقية

اولاً: مفهوم تمكين المرأة:

ظهر مفهوم تمكين المرأة في ثمانينيات القرن الماضي واصبح من المفاهيم المحورية في دراسات النوع الاجتماعي[٣٨]، يشير هذا المصطلح إلى تقوية المرأة في المجتمعات المعاصرة في مجالات التنمية المختلفة والاقتصاد. بمعنى أن تمكين المرأة هو تقوية المرأة للمشاركة في منع أو اتخاذ قرار من خلال توفير الوسائل التعليمية والثقافية والمادية ومشاركتها في اتخاذ القرارات ومنحها الثقة وحرية التحكم في الموارد[٣٩]. وقد اهتم البنك الدولي لتمكين المرأة وعده من أهم عناصر تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية ومحاربة الفقر في المجتمعات[٤٠].

ثانياً: التنمية الاجتماعية والنوع الاجتماعي

تعني التنمية عملية تغيير واسع للمجتمع وبعبارة أخرى ان عملية التنمية تشمل كل الجهود التي تبذل من أجل تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع، وهذا يعني انها تشمل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية كافة... الخ[٤١]. اما مفهوم التنمية الاجتماعية فيشير إلى عمليات مخططة وموجهة يتم من خلالها إحداث تغير اجتماعي مقصود ومرغوب في بنية المجتمع ووظائفه وفي مواقف الأفراد والجماعات نحو أنفسهم ونحو المجتمع. ورفع مستواهم الثقافي والصحي والاجتماعي وجعلهم أكثر قدرة على تفهم مشاكلهم وأمور حياتهم، فضلا عن إشاعة روح التعاون بين أفراد المجتمع من اجل الوصول إلى حياة أفضل. وهنا نستطيع القول بان التنمية الاجتماعية تهتم بنمو الإنسان وتكيفه مع بيئته[٤٢].

ان المرأة هي مفتاح تحقيق التنمية وأن تمكين المرأة وتحقيق العدالة بين الجنسين في الرعاية الصحية والتعليم وفي المجالات السياسية والاقتصادية وفي تبوئها مواقع اتخاذ القرارات أساس تحقيق التنمية المستدامة، وقد تناولت خطط التنمية الوطنية والحكومات العراقية استراتيجيات القضاء على التمييز ضد المرأة العراقية لضمان حقوقها والنهوض بها وتمكينها في الحياة العامة ولغرض تحقيق التنمية المستدامة لابد من[٤٣]:

١. التركيز في تمكين المرأة علمياً ومعرفياً، واقتصاديا وتعزيز دورها في البناء والتنمية.
٢. فتح نوافذ قانونية تساعد المرأة في معرفة حقوقها وكيفية اكتسابها.
٣. تفعيل اتفاقيات القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

ثالثاً: النظرة الاجتماعية للمشاركة المجتمعية للمرأة:

إن لخلفية المجتمع العراقي الثقافية والاجتماعية والتقليدية ونظرته الضيقة القائمة على العيب والحرام حدد وظيفة المرأة وحصرها في الانجاب وتربية الاطفال وإدارة شؤون المنزل، واستخدام الأساليب القهرية لجعلها تحت تصرف الرجل، مما يجعلها بعيدا عن تمكينها إداريا واجتماعيا ويمنعها من ممارسة دورها في بناء المجتمع والمشاركة في عملية التنمية التي لا تتم إلا بتكامل الأدوار بين الجنسين، وما زال هذا الموروث يترك اثرا به حاجة إلى عمل دؤوب لتصحيح المفاهيم والموروثات الخاطئة وتهيئة الفرص لمشاركة اجتماعية أكبر للمرأة وتوسيع قدراتها على الاختيار، ومنع الممارسات التي تكرس التمييز ضد المرأة او التي تضر بها، سواء في المجال العام أو داخل الأسرة[٤٤].

ان المشاركة المجتمعية للمرأة تتطلب قيام الجهات المسؤولة في المجتمع بمنح فرصة للمرأة بالظهور في مجالات التنمية، فضلا عن إلغاء التمييز على أساس الجنس في توزيع المهام وتولي المسؤوليات،فعلى الرغم من الدور البارز الذي تقوم به المرأة في المجتمع إلا أنها لازالت تعاني من القسوة والتهميش وقلة في الحصول على الادوار التنموية في المؤسسات الجامعية مقارنة بالرجال[٤٥].

ان التوزيع النسبي للذكور بلغ (٥٠,٧٤٪) وللإناث (٤٩,٢٦) ومن هذه البيانات يتبين أن نسبة الذكور والاناث متساوية تقريبا. الا ان واقع المرأة يتباين مع واقع الرجل في العراق، وهو ما سيتم مناقشته في مستوى التعليم والنشاط الاقتصادي ومستويات البطالة.

١. التعليم:

يعد التعليم من العوامل الأساسية للتمكين بصورة عامة ولتقدم المجتمع، لذلك تمكين المرأة يرتبط بصورة أساسية بمدى ما متاح لها من فرص تعليم في جميع المراحل الابتدائية والثانوية والأكاديمية كافة، والجدول (١) والشكل(١) يبين مدى التفاوت في الحصول على تلك الفرص بين الاناث والذكور. اذ بلغت نسبة الذكور في مستوى الامية (٩٪) من اجمالي الحالة التعليمية في العراق وترتفع هذه النسبة في الابتدائية اذ تصل (٦ ,٣٢٪) وتبلغ (٥ ,١٤٪) و(٣ ,١٠٪) في مرحلتي المتوسطة والاعدادية، وتنخفض هذه النسبة بين حاملي الشهادات العليا اذ تبلغ (٦ ,٠٪). اما بالنسبة للاناث فتتركز في بداية مراحل التعليم فقد بلغت نسبتها (٧ ,٢٠٪، ٤ ,١٨، ٤ ,٢٩٪، ٩ ,١١٪) في مستوى الامية ويقرأ ويكتب وفي مرحلتي الابتدائية والمتوسطة. مما تقدم يظهر ان

هناك تقارباً بين الجنسين من حيث مدى الحصول على الفرص التعليمية بتفوق طفيف لصالح الذكور في مستوى كل من يقرا ويكتب ومراحل التعليم الابتدائي والثانوي والدبلوم، اما في مستوى الأمية (لا يقرا ولا يكتب) فان الفجوة تبدو كبيرة لصالح الذكور، وبحجم اصغر في مستوى شهادات البكالوريوس والشهادات العليا.

الجدول (١)

التوزيع النسبي للحالة التعليمية بعمر (١٠ سنوات فاكثر) في العراق بحسب الجنس لعام ٢٠١٦

الحالة التعليمية	ذكور	اناث
امي	٩	٢٠,٧
يقرأ فقط	٢,٦	٣,٢
يقرأ ويكتب	١٨,٩	١٨,٤
ابتدائية	٣٢,٦	٢٩,٤
متوسطة	١٤,٥	١١,٩
اعدادية او مايعادلها	١٠,٣	٧,٦
دبلوم	٤,٩	٣,٩
بكالوريوس	٦,٦	٤,٥
شهادات عليا	٠,٦	٠,٤
المجموع	١٠٠	١٠٠

المصدر: الباحثان بالاعتماد على[٤٦]

الشكل (١)

التوزيع النسبي للحالة التعليمية بعمر (١٠ سنوات فاكثر) في العراق بحسب الجنس لعام ٢٠١٦

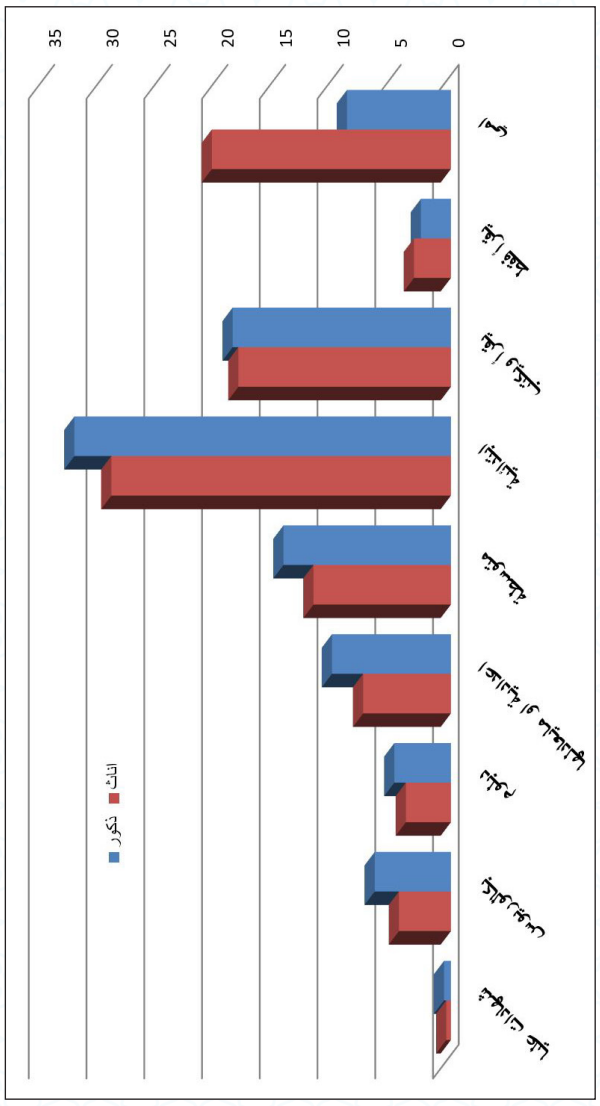

المصدر: الباحثان بالاعتماد على بيانات الجدول(١)

ولوجود علاقة ارتباط بين مستوى التعليم وجميع مجالات تمكين المرأة فان تفاقم الأمية بين صفوف النساء العراقيات وتراجع مستويات التحصيل الدراسي بصورة عامة يعد تحديا حقيقيا يواجه امكانية التمكين التنموي لها ولمواجهة هذه المشكلة ينبغي التوسع في سياسة الزامية التعليم حتى نهاية المرحلة الإعدادية، وكذلك اتخاذ التدابير اللازمة من أجل تعميم قضايا النوع الاجتماعي في المناهج الدراسية ما قبل التعليم الجامعي والتعليم العالي[٤٧].

٢. النشاط الاقتصادي ومعدلات البطالة للمرأة

بلغ معدل النشاط الاقتصادي المنقح في العراق (٤٣,٢٪) لسنة (٢٠١٦) إذ تظهر النساء اقل نسبة في النشاط الاقتصادي من الذكور فقد بلغت نسبة الاناث (١٤,٦٪) في حين بلغت نسبة الذكور (٧٢,١ ٪)[٤٨]. أما معدل البطالة بعمر ١٥ سنة فأكثر فالإناث أكثر من الرجال على مستوى العراق اذ تظهر البطالة بمعدل (١٠,٨٪) وبلغ معدل البطالة للذكور (٨,٥ ٪) والإناث (٢٢,٢ ٪)[٤٩].

هذا الواقع للمرأة العراقية في مستوى النشاط الاقتصادي يعد متدنيا، ولعل اسباب ذلك شائكة ومعقدة، تتداخل فيها مواريث ثقافية وعوامل اجتماعية وسياسية واهمال او عدم التفات من الدولة لأهمية تمكين المرأة العراقية واستثمار امكانياتها الاقتصادية بوصفها مورداً بشرياً وكوسيلة وهدف تنموي في الوقت نفسه، وهنا يكمن تحدي الدولة في امكانية الحد من انخفاض نسبة مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي ولا سيما في سوق العمل للحد من نسب البطالة المرتفعة للمرأة العراقية.

ولمواجهة هكذا تحدٍ يجب على الدولة تبني سياسات تصب في مصلحة تمكين المرأة العراقية اقتصاديا منها اتخاذ جميع التدابير المناسبة لتوفير فرص العمل للنساء اللواتي يعانين من البطالة، مع توفير البيئة المساعدة في رعاية الأطفال مثل دور الحضانة الملحقة بالعمل مما يساعد في عمل المرأة واستمرارها فيه بعد الزواج والإنجاب، وكذلك تغيير نمط الطلب في سوق العمل للقطاع الخاص الذكوري لزيادة فرص تشغيل المرأة خارج نطاق القطاع العام، وفي مستوى السياسة المالية يراد اعتماد موازنات النوع الاجتماعي، وضمان فرص العمل للمرأة[٥٠].

رابعاً: دورنا اليوم في تنمية دور المرأة ضمن مجتمعها الصغير

التنمية تتضمن في محتواها جانبين مهمين هما الجانب الاقتصادي والاجتماعي والفصل بينهما صعب، فأننا حين نرفع من المستوى التعليمي والصحي للمرأة نكون قد حققنا مستوى عالياً من الكفاية البشرية أي زيادة في الدخل والاستهلاك والتي تتطلب بدورها المزيد من الخدمات... وهكذا فالإنسان هو من يصنع التنمية ويمثل هدفها،والتنمية البشرية تتضمن بعدين[٥١]:

١. الذي يهتم بتنمية القدرات البشرية متمثلة بتنمية الطاقة البدنية، والعقلية، والنفسية والروحية، والمهارات الاجتماعية في مختلف مراحل الحياة.
٢. يتمثل في التنمية المستدامة وتحقيق التواصل عن طريق النجاح في استثمار الموارد وتقوية الانشطة الاقتصادية لزيادة المدخلات وسير عملية الانتاج والاهتمام بالبنى المؤسساتية وتطوير الهياكل والتي سوف تؤدي الى المشاركة للقدرات البشرية.

ولتحسين وضع المرأة العراقية اقتصادياً والذي يساعدها في تحسين وضعها المادي والصحي والاجتماعي والثقافي وهو هدف بالغ الاهمية. هو تشجيع المشاريع الصغيرة والمتوسطة والتي لها دور

اساس وتعد محركاً رئيسياً لعجلة الاقتصاد وفي تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية للفرد والدولة، وخاصة في الدول النامية، فهي أداة فاعلة للحد من مشكلة الفقر والبطالة لمرونتها في العدد والانتشار سواء كان في المدينة او الريف.

ان تشجيع تأسيس المشاريع الانتاجية الصغيرة او المتوسطة له الاثر الكبير بإيجاد فرص عمل لجميع افراد الاسرة من ناحية ومن ناحية اخرى الحفاظ على استقرار الاسرة الاجتماعي والاسري فعندما تكون المرأة صاحبة مشروع انتاجي في البيت وضمن مناطق سكناهم، اذ ان المشاريع تلك تجذب النساء للعمل بالأجر ويمكن تحقيق إدارة الاعمال من جهة والحفاظ على مسؤولياتهن في الاسرة.

تأتي أهمية الزيارة الأربعينية من خلال القيام بمهمة التوجه العقلي والديني لدور المرأة في العملية الاجتماعية والاقتصادية وتكون خير مثال على ذلك السيدة زينب عليها السلام وهنا يظهر دور الخطباء في هذا التوجه عن طريق ارشاد الزوار.

ان زيارة الاربعينية حدث سنوي عالمي يجب ان يستثمر في تنوير العقول وان يكون انطلاقة للمرأة المسلمة في الحفاظ على اسرتها وعفتها وفي الوقت نفسه يكون لها دور مميز في العملية الاقتصادية من خلال دخول ايرد قد يكون رئيسي او زيادة للبيت، وان التوجه الخطابي والتوعي يكون عن طريق فرق تثقيفية مرسلة من العتبات المقدسة ومن مراكز الارشاد النسوي والاسري منتشرة على طول طرق السير الراجل في الحسينيات والمساجد والمواكب لتشجيع قيام المرأة بدورها في مساندة الاب والاخ والـزوج وفي الحفاظ على كرامتها وعـدم العوز والحاجة، لذلك أن احياء الشعائر الحسينية تأتي غالب من اهالي العراق ومن جميع الطبقات والمستويات الثقافية، وددنا لو كان التوجه الخطابي نحو توظيف الحماس بالشعائر الحسينية، ولو ان كل موكب وضع صندوقاً للتبرعات من الناس الخيرين، مع وجود لجان مختصة بجمع الامـوال تحت اشراف العتبات المقدسة والحسينيات والمساجد أو المدارس في داخل المراكز الحضرية والريفية في جميع المحافظات مثل القروض الصغيرة لسد احتياجات الطبقات المعدمة عن طريق الصناعات الصغيرة والتي تكون من داخل البيوت، والتي توزع على المحافظات، وعند التسديد تكون لمرأة ثانية محتاجة للعمل.

خامساً: الحلول في ظل الواقع الراهن:

١. تسهيل القروض بلا كفالة (لعدم قدرتهن على الكفالة) وإجراءات التامين مع برامج توعية وتنظيم جداول ودليل العمل يضمن نوع العمل وجدواه الاقتصادي والاجتماعي.
٢. الاهتمام بزيادة الدخل من خلال الاعمال المنزلية التي تساعد النساء في الحصول على مورد اقتصادي فضلا عن وجودهن في داخل البيت بالقرب من الاسرة، كالطبابة، والتعليم المنزلي والخياطة والصناعات اليدوية بمختلف اشكالها.
٣. التوعية الاجتماعية للرجال بأهمية المرأة ودورها في المجتمع وتكون من خلال المسيرة الاربعينية

٤. المرأة التي تكون واعية بدينها ومعرفتها الحقة بنساء بأهل البيت تستمد قوتها لتكون قادرة على التغيير من الداخل ولتكون قدوة حسنة للنساء الاخريات ولتكون المرأة قاعدة للنساء الاخريات في الدعوة الى الله بان تكون داعية الى الله.

٥. فتح الدورات التربوية والتوعوية للنساء من اجل الحفاظ على الاسرة وضمان المورد الاقتصادي.

٦. التحفيز على العمل الجماعي المشترك من شرائح المجتمع للمشاركة والاسهام في هذا المشروع.

٧. تشجيع المنظمات والمؤسسات العلمية والتعليمية والثقافية والاعلامية والخدماتية ومراكز الدراسات من أجل العمل على مشاريع التغيير والإصلاح للصالح العام.

٨. ومن خلال مشاهداتنا للمرأة العراقية فحبها للحسين وتضامنها مع زينب نراها في الزيارة الاربعينية على طول الطرق المؤدية لكربلاء تقف وتتضامن مع والدها واخيها وزوجها وابنها في المواكب تطبخ وتغسل وتمسح وتوزع وتعمل بكل ما أوتيت من عزم وصبر...ولكن كيف تكون امرأة بهذا الشكل كل السنة؟ نحتاج ان توعية المرأة بأهمية ما تفعله وان توعية الرجل بأهمية عمل المرأة من داخل منزلها.

٩. العلم في الصغر كالنقش على الحجر، ليكون التوعية منذ نعومة الاظافر فوجود الاطفال في المسيرة طريقة صحيحة للتعلم ورفدهم بموضوعات تساعد في غرس المفاهيم الصحيحة التي تحترم الأنثى والمرأة وتغيير الصورة النمطية لديهم عن دورها ربة بيت فقط وتسليط الاضواء على مجالات العلم والابداع والمهارات لديها.

١٠. اهمية التوعية الاسرية للرجال والنساء من خلال الندوات والتوجيه والارشاد التوعوي وهنا يأتي دور المؤسسات من خلال المجالس الحسينية التي تعقد في الحسينيات والجوامع من خلال المسيرة.

١١. ضرورة التركيز في دور الاعلام في الزيارة الاربعينية من برامج ارشادية من خلال القنوات الاذاعية والتلفازية التي تعزز دور المرأة في الاسرة والاسهام في النشاط الاقتصادي.

١٢. اهمية التعاون بين مراكز الارشاد والتوجه الديني مع الوزرات الخاصة كوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ومؤسسات المجتمع المدني فضلا عن مراكز البحوث والدراسات الاجتماعية لدراسة مشاكل المرأة الاقتصادية ووضع الحلول القانونية لها.

وفي الختام يجب علينا ان نذكر أن البدايات صعبة، وبالنظر للفوائد والنتائج تسهل الصعوبات.

الهوامش

(١) الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، زينب العقلية رمز الاباء، قسم الثقافة والاعلام، الشؤون الفكرية والثقافية، العدد(٩٣)،١٤٣٤هـ، ص٩.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٤٢.

(٤) جعفر بن محمد النقدي، زينب الكبرى ط٣، النجف،

المطبعة الحيدرية، ١٩٤٣، ص ٧.

(٥) السيد لطيف القزويني، رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ، مؤسسة تحقيقات ونشر معارف اهل البيت عليهم السلام، المجلد (١)، بدون سنة نشر، ص٥٩.

(٦) حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (المتوفى:٩٦٦هـ)، تاريخ الخميس، في أحوال أنفس النفيس، دار صادر – بيروت،ج١ ص٢٦٥.

(٧) الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، زينب العقلية رمز الاباء العتبة الكاظمية، قسم الثقافة والاعلام، الشؤون الفكرية والثقافية، العدد (٩٣)،١٤٣٤هـ، ص٩٣.

(٨) نور الدين الجزائري، الخصائص الزينبية، دار الحوراء، لبنان،بيروت،٢٠٠٤، ص٧٥.

(٩) الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، الحوراء زينب قدوتنا، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العدد ٢٨، ٢٠١١، ص١٦.

(١٠) المصدر نفسه،ص ٧٨.

(١١) محمد الحسيني الشيرازي، السيدة زينب عالمة غير معلمة، دار المؤمل للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣، ص٢٥.

(١٢) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، العراق، النجف، ١٩٩٩، ص ٢٧-٢٨.

(١٣) (*) ذكرت تلك الحوادث بأغلب كتب التاريخ ممكن الرجوع اليها مثل الطبرسي،وابن الاثير،والطبري،وابن حجر العسقلاني،وابن حنبل وابن طاوس..وغيرهم كثير.

(١٤) نور الدين الجزائري، الخصائص الزينبية، مصدر سابق،ص٦٥.

(١٥) يوسف عبد الله محمد عبد البر أبو عمر (الملقب بن عبد البر)، تحقيق: محمد البجاوي، الاستيعاب في اسماء الاصحاب، مطبعة النهضة، دار الجيل، مصر، قاهرة، ١٩٩٢، ص٨١٨-٨٢١.

(١٦) جعفر بن محمد النقدي، حياة زينب الكبرى، مصدر سابق، ٢٧.

(١٧) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨م، ج١٦، ص ٢١،٧٩.

(١٨) بنت الهدى الصدر، المرأة مع النبي في حياته وشريعته، دار الكتاب الاسلامي، ايران، قم، ١٩٨٤، ص٦.

(١٩) سورة العنكبوت الآية:٦.

(٢٠) سورة آل عمران الآية:١٩٥

(٢١) سورة النحل الآية: ٩٧.

(٢٢) الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، فاطمة الزهراء عليها السلام أنموذج المرأة المسلمة، ٢٠١٤، ص ١٨-٢١.

(٢٣) أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المواهب اللدنية المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤ ج١، ص٩٩.

(٢٤) عمررضا كحالة، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، الطبعة الخامسة، ط ٥، ج١، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٩٤٨، ص ٣٢٦.

(٢٥) محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد، ايران، قم، مطبعة سيد الشهداء، ١٩٩٣، ص٢١٨.

(٢٦) سورة التحريم الآية:٧٣.

(٢٧) حسين علي الشرهاني، لمحات من مواقف السيدة زينب عليها السلام في واقعت الطف، مجلة تراث كربلاء، السنة

الثانية،المجلد الثاني، العدد٣،٢٠١٦ ص٧٤.

(٢٨) حسين علي الشرهاني، المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٢٩) سورة التوبة الآية: ٧١.

(٣٠) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، دار الكتب الاسلامية، ط٣، طهران، ج ٩،١٩٧٧، ص٣٥٣.

(٣١) مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية وعلى الموقع http://burathanews.com/arabic/studies/214300

(٣٢) آقا حسين الطباطبائي البروجردي، جامع أحاديث الشيعة،ايران، قم، ج١٥، ١٩٧١، ص٩٣.

(٣٣) سورة القمر: الآية ٥٤.

(٣٤) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين نوري الطبرسي، ط٣، ج ١٠، مؤسسة اهل البيت، لبنان، بيروت، ١٩٩١، ص

(٣٥) البرنامج الانمائي للأمم المتحدة في العراق، التمكين الاقتصادي للمرأة دمج المرأة في الاقتصاد العراقي، ٢٠١١، ص٤.

(٣٦) عبد الكريم جبار شنجار، شذى سالم دلي، تمكين المراة في العراق ودورها في النهوض الاقتصادي، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية، المجلد ١٧، العدد ٢،٢٠١٥، ص١٠٤-١٠٥.

(٣٧) البرنامج الانمائي للأمم المتحدة في العراق، التمكين الاقتصادي للمرأة دمج المرأة في الاقتصاد العراقي، ٢٠١١، ص ٧-٩.

(٣٨) سهام مطشر الكعبي، برنامج التمكين النفس ي للمرأة القيادية في الدولة العراقية،مجلة الدنانير، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة العراقية، العدد١٣، ٢٠١٨، ص٣٧٩.

(٣٩) سحر طارق محمود الرحيم،مؤشرات تمكين المرأة العراقية في خطة التنمية الوطنية لعام ٢٠١٧، مجلة اشراقات تنموية، مؤسسة العراق للثقافة والتنمية، العدد٢٥، ٢٠٢١، ص٣٨٣.

(٤٠) **Mishra, Gunman,The Psychological Facets of Women Empowerment at Workplace. International Journal of Recent Trends in Engineering &Research, (2016):vol 2.Issue 11;November,p.224**

(٤١) حارث حازم أبوب، التنمية الاجتماعية في العراق المسارات والتحديات دراسة اجتماعية تحليلية، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد،٢٠٠٤، ص١٥.

(٤٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٤٣) سحر طارق محمود الرحيم، مصدر سابق، ص٣٨٥.

(٤٤) المصدر نفسه، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٤٥) ميس محمد كاظم، البعد التنموي في تمكين المرأة، مجلة البحوث النفسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العدد٢٥، ٢٠١٧، ص٣١١.

(٤٦) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، مسح التحليل الشامل للأمن الغذائي والهشاشة للأسرة في العراق، ٢٠١٦، ص٣٣.

(٤٧) احمد جاسم محمد الخفاجي، منظومة قياس التمكين التنموي للمرأة في العراق، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، السنة الثامنة عشرة، العدد ٦٤، ٢٠٢٠، ص٨.

(٤٨) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية لسنة ٢٠١٩، الاحصاءات السكانية، جدول(٢/ ٩)أ.

(٤٩) المصدر نفسه، جدول(٢/ ٨)أ.

(٥٠) احمد جاسم محمد الخفاجي،مصدر سابق، ص١٠.

(٥١)ماهر ابو المعاطي علي، الاتجاهات الحديثة في التنمية الشاملة «معالجة محلية ودولية وعالمية لقضايا التنمية»، سلسلة مجالات وطرق الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٢.، ص١١.